

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن الأحساء منطقة تضرب جذورها في أعماق الماضي ، عبر سلسلة الحضارات التي تواردت عليها ، وتركت بصماتها على الأرض والإنسان ، وخاصة أن التسمية التاريخية للأحساء كانت تشمل الساحل الغربي من الخليج العربي الممتد من جنوب العراق إلى عُمان .

وقد تعاقبت على الأحساء فترات من المد والجزر في تأثيرها السياسي وحراكها الثقافي وشموعها العلمي ، فقد كانت صاحبة سبق في الدخول في دين الله ﷺ طوعية واختياراً ، وترغمت منابرها بخطبتي الجمعة عندما لم تكن خطبة تخطب على وجه الأرض إلا في مسجد رسول الله ﷺ ، وضربت مثلاً عظيماً في الثبات على الدين يوم ضربت الردة بأطنابها في ربوع الجزيرة العربية ، ومنها انطلقت الجيوش الإسلامية لفتح السواحل والمدن الفارسية والهندية .

وقد أجمل العلامة الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي رحمه الله (١٢٩٠ - ١٣٦٢ هـ) تلك الفضائل الأحسانية في قصيدته الميمية قائلاً :

ضعوا جهلكم في غير أحساننا ذهي	فقد كانت الأحساء تُحمى
لهم نبأ ألبا قديماً بكونهم	إلى حلبات البرّ أهدى وأقوما
هم وفدوا للدين حباً ورغبة	فبجلّهم أعني النبيّ وكرّما
وقال رسول الله بالوفد مرحباً	أتوا لا خزايا أو بهم من تندما

وجاؤوا إليه راغبين فرَدَّهم
وقال لهم إني وطئت بلادكم
وأول دار بعد طيبة أشرقت
وما ثبَّتْ دارٌ سواها وطيبةً
على كرمٍ يتلون نوراً مُتَمِّمًا
وأثنى عليهم مُحَسِّنًا ومفخِّمًا
منابرُها بالخطبتين ونعمَ ما
ومكةٌ إذ خطبُ النبي تعظُّما

وقال الشاعر الأديب الشيخ محمد بن عبد الله الملحم (١٣٥٥ -

١٤٠٨هـ) رحمه الله - ملخصًا بعض فضائل الأحساء :-

خُصَّ هَجْرٌ بثلاثِ
فيه صُلِّي ثلثاني
أورثتُهُ المكرُماتِ
جُمُعَةٍ في الجُمُعَاتِ
وبه أَسْلَمَ قَومٌ
دون سَيفٍ وقَنَاةٍ
وعلى الدِّينِ أقاموا
كالجبالِ الرَّاسِيَاتِ

ونظرًا لبعد الأحساء عن عاصمتي الدولة الأموية والعباسية فقد ظهرت فيها ما بين الفينة والفينة حركات متمردة على الخلافة الإسلامية وشاذة في فكرها عن منهج أهل السنة والجماعة ، كفرقة النجدات سنة ٦٧هـ ، وثورة الزنج سنة ٢٤٩ هـ ، أما أكبر تلك الحركات المتمردة فقد كانت الدولة القرمطية الباطنية التي أسقطت الشرائع ، وحللت المحرمات ، وأراقت الدماء ، وأشاعت الرعب ، وكانت بداية ظهورها في أواخر القرن الثالث الهجري ، ثم أهلكهم الله على أيدي أهل السنة والجماعة ، وأراح البلاد والعباد من شرهم .

ثم تعاقبت على الأحساء دولة تلو أخرى ، وشهدت أحداثًا ، ومرت بأطوار ، وشاركت في مقاومة الاستعمار ، ثم حطت الأحساء عصا تسيارها في رحاب الدولة السعودية أيدها الله بالحق وأيد الحق بها .

لقد أثرت هذه الدول والحضارات في التراكم المعرفي الذي توارثته الحياة العلمية والفكرية في المجتمع الأحسائي ، وخاصة أرباب العلم والفتوى والقضاء ،

وقد نتج عن ذلك منهجية علمية أحسائية متناغمة مع منهجية علماء أهل السنة والجماعة المتمثلة في : سعة الإدراك الثقافي لعلماء الأحساء ، وتنوع علومهم الموروثة من مدارسهم القديمة ، ووعيهم لثقافات ومعارف تمكنوا من احتوائها وغربلتها لمصالح المجتمع والناس .

ومن أبرز سمات منهجية علماء الأحساء : تعاملهم مع الخلاف الناتج عن الاجتهاد المشروع بسلامة صدر وحسن ظن ، وقد تبين لي بما لا يدع مجالاً للشك - بعد دراسة لعدد كبير من فتاوى علماء الأحساء - بأنهم يستوعبون ويفهمون الاجتهادات الشرعية المشروعة ، ويحترمون التعددية المذهبية السنية ، ويلجأون إليها في حل المشكلات والنوازل والوقائع ؛ لأنه قد استقر عندهم أن تلك المذاهب المباركة كالجداول التي تروي ظمأ واردها ، ويتعايشون - في الوقت نفسه - مع المذاهب الأخرى بسلام .

ومن الأمثلة على تلك الفتاوى ما سئل عنه المفتي القاضي الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الحكيم الشافعي (. . . - ١٠٨٠هـ) عن مطلقة شابة انقطع عنها الحيض أثناء العدة ، وعند الشافعية أنها تصبر حتى سن اليأس ، والحال أنها فقيرة محتاجة للزوج ، فهل لها أن تقلد من ييسر عليها الأمر ، وإذا قلدت فهل يجب على الزوج والولي والعائد التقليد ، فأجاب بجواز تقليد الإمامين مالك وأحمد ، فإن مذهبيهما أن تتربص تسعة أشهر ، ثم تعتد بثلاثة أشهر ، ولا بد لأطراف العقد من التقليد في ذلك إن كانت مذاهبهم لا تجيزه .

ومن ذلك ما سئل عنه القاضي المفتي الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد سعيد العمير الشافعي (. . . - ١٢٨١هـ) عن حكم إخراج الزكاة من غير جنس المال المزكى ، فأجاب بأنه لا يجوز أن تكون الزكاة من غير جنس المال الزكوي عند الشافعية ، ويجوز ذلك عند الحنفية ، كأن أخرج زكاته دراهم أو

ثياباً بقيمة الزكاة ، فإذا حصل تقليد صحيح عند إخراج البدل صح وبرئت ذمة المالك .

ومن أمثلة استفتاء بعضهم بعضاً سؤال القاضي الشيخ محمد حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن حسين العدساني الشافعي (ق ١٢ - ق ١٣هـ) للشيخ علي بن حسين بن عبد الرحمن بن كثير المالكي (. . . - ١٢١٦هـ) عن مذهب المالكية في ثبوت العمل بورقة تتضمن نذراً صدر من الشيخ محمد بن عمر الملا الحنفي ، فأجابه الشيخ علي بأنه إذا قامت بينة معتبرة على أن الخط هو خط الشيخ محمد بن عمر الملا ثبت العمل به في مذهبهم .

ومن ذلك عدد من الأسئلة رفعت إلى العلامة الشيخ أبي بكر بن محمد بن عمر الملا الحنفي (١١٩٨ - ١٢٧٠هـ) ليُجيبَ عنها على المذهبين المالكي والحنبلي ، فلم ير الشيخ في ذلك حرجاً أن يجيب على غير مذهبه ، بل لم يجد غضاضة من أن يوجه تلك الأسئلة إلى عالمين في عصره : مالكي - ولم يأت في مقدمة جوابه تحديد عينه - وحنبلي - وهو القاضي المفتي الشيخ عبد اللطيف بن أحمد بن فيروز (ق ١٢ - ق ١٣هـ) - ، ليُجيبا على مذهبيهما ، بدلاً من أن يتولى الإجابة بنفسه ، فيكون قد خاض في مذاهب الآخرين ، وهم أعلم بمذاهبهم ، وقد جاء في مقدمة الشيخ عبد اللطيف بن فيروز قوله : « هذه أسئلة فقهية ، سئل عنها وحيد دهره ، وفريد عصره ، التحرير المعظم ، والجهد المفخم ، الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد بن عمر الملا » .

كما قام الشيخ أبو بكر الملا نفسه بتوجيه سؤال ورد إليه إلى القاضي الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الوهبي الحنبلي (. . . - ١٣٠٤هـ) عن حكم الزواج بامرأة تزوج رجل بابتها ، وطلقها قبل الدخول بها ، فأجابه الشيخ الوهبي وفق مذهبه الحنبلي ، وخلاصته تحريم الزواج بالأم حرمه مؤبدة ، وكان

مما قال في جوابه : « من عبد الرحمن بن عبد الله ، إلى الوالد المكرم الشيخ أبي بكر حرسه الله تعالى ، وأسبغ عليه نعمه ووالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، الكتاب الشريف وصل ، شرف الله قدرك ، ورفع ذكرك » .

أما ترجيح مذهب الغير والإحالة عليه فله عدد من الأمثلة والشواهد ، منها ما أجاب به العلامة الشيخ إبراهيم بن حسن الملا (. . . - ١٠٤٨هـ) عن سؤال بشأن رجل متزوج ، ثم تزوج بأخرى ، وبعد سنة قالت الأولى : إنها أرضعت الثانية ثلاث رضعات ، وقالت بعض النساء مثل ذلك ، فهل تحرمان عليه أو إحداها أو لا تحرمان عليه ، فأجاب بأن الحرمة عند الحنفية لا تثبت إلا بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، ولا تثبت بشهادة المرضعة ولا بشهادة النساء ، ولكن الشبهة في هذه الصورة قوية وقريبة من الحرمة ، والأولى بالمسلم توقي الشبهات ، هذا ما أجاب به الشيخ إبراهيم بن حسن ، ويلاحظ في هذه الفتوى أنه لم يُفتَ بالمعتمد عند الحنفية من عدم تأثير شهادة المرضعة والنساء في التحريم ، بل أرشد إلى توقي الشبهات ؛ لأن بعض المذاهب كالشافعية يقبلون شهادة المرضعة وحدها ، وبعض المذاهب كالمالكية والشافعية والحنابلة يقبلون شهادة النساء وحدهن في الرضاع - على تفصيل عندهم - .

ومنها المسألة التي رفعت لعلماء الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري المتعلقة بقسمة الماء الجاري المشترك بين عدة ملاك ، وحكمها عند الشافعية والحنابلة أن يسقي الأول إلى مبدأ الماء ، ثم من يليه ، بحيث يرتفع الماء إلى الجدر - وهو الحاجز الذي يوضع بين شربات النخل أو حول أصول النخل كالجدار القصير ، ويقدر ارتفاع الماء فيه إلى الكعبين تقريباً - وفقاً لحكم النبي ﷺ للزبير بن العوام رضي الله عنه عندما نازعه جاره الأنصاري رضي الله عنه في السقي من شراج الحرة - أي مسيل الماء منها - ، أما عند المالكية فتقدر مدة السقي بالزمن المنضبط ، كساعة أو ساعتين أو ربع النهار أو نصفه أو يوم ويوم .

وقد أجاب عنها علماء المالكية كالعلامة الشيخ عيسى بن عبد الرحمن بن مطلق (. . . - ١١٩٨ هـ) والشيخ عبد العزيز بن مبارك بن غنام (ق ١٢ - ق ١٣ هـ) ، ولما توجهت المسألة للعلامة الشيخ عبد الله بن محمد العبد اللطيف الشافعي (. . . - ١١٨١ هـ) أفق فيها بقوله : « فلما تعذرت قسمة هذا الماء على مذهب الإمام الشافعي تعين السلوك في طريقة ذلك الإمام الألمعي - مالك - ؛ لكونه الذي ترتب عليه البلد ، وجرى عليه العمل فتبع الوالد فيه الولد ، . . . ، فتعين على القاضي الشافعي استخلاف مالكي في هذه القضية ؛ ليفوز بالفعل المرصية » ، انتهى كلامه ، ومضمون هذا الجواب أجاب العلامة الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز الحنبلي (١١٤٢ - ١٢١٦ هـ) ، حيث قال : « يتعين على القاضي الشافعي استخلاف مالكي يقطع بين الخصمين النزاع ، وهو قول السادة الحنابلة بلا دفاع » .

أما عبارات التعظيم والتفخيم لأئمة المذاهب وعلمائها فدلائله كثيرة ، منها أن العلامة الشيخ عبد الله بن محمد العبد اللطيف الشافعي لما سئل عن مسألة المياه المتقدمة ، وأجاب فيها مؤيداً العمل بمذهب الإمام مالك ، قال في مقدمة فتواه : « الحمد لله سبحانه ، لما استوضحنا هذا الحال وتبيننا أمره ، وأنه قول واحد مذهب إمام دار الهجرة ، عالم المدينة وإمامها ، الذي ألقى إليه مقاليد الأحكام وزمامها ، وكل فضيلة لها سناء فهو أمامها برتوة ، كيف وقد آواه الله تعالى من العلم إلى قرار مكين بربرة ، حمدنا الله تعالى على ذلك ، وجعلنا الذريعة بيننا وبينه مالك ، لنفوز براحة رضوان ونعوذ من نصب مالك » (١) .

وقد وقف علماء الأحساء مواقف صلبة ضد من يحاول النيل من علماء

(١) انظر الكثير من فتاوى علماء الأحساء في كتاب : فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم ، تأليف : الأستاذ عبد العزيز بن أحمد العصفور .

المذاهب الأربعة وفقهاها ، فمن أمثلة ذلك القصيدة الميمية المشهورة التي جادت بها قريحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي (١٢٨٨ - ١٣٦٢ هـ) ، حاثاً على اتباع المذاهب الأربعة الفقهية ، مستدلاً على جواز ذلك بالنقل والعقل ، ومبيناً أن المذاهب الفقهية نابعة من الكتاب والسنة والقياس عليهما وأقوال الصحابة رضي الله عنهم ، فكان مما قال :

و طاعتهم في الناس فرضاً محتمماً قضت باتباع الناس من كان أعلماً من الله أن يُقفى سبيلاً ويلزماً ونعمائنا والشافعي المكرماً فما انظمسوا إلا على من به عمى وإلا قياساً صادق الجد محكماً لنا سبباً ما كان أن يتصرماً وإن هبطوا لحدّاً فمنهاجهم سما نرى نهجهم للخير أهدى وألزماً فأضحى عن الجهال ممتنع الحمى رآهم ليوثاً خادرين فأحجماً	وكان اتباع المهتدين هدايةً يقول تعالى : " فاسألوا " أو لم تكن ومن قال : " واجعلنا إماماً " ألم يُرد ولكن رضىنا مالكاً وابن حنبل أئمة حق كالشموس اشتهارهم وهل جمعوا إلا كتاباً وسنة وإجماع أصحاب النبي كفى بهم فإن قلتُم ماتوا فسيرتهم حيت هم الخير أحياء وبعد مما قم وهم حوَّطوا الشرع الشريف بفضلهم وكم قاصد للدين يبغي فسادَه
---	--

ولذلك فليس من الغرابة أنه لم ينتصف القرن الحادي عشر الهجري إلا والأحساء تمثل موطناً أصيلاً مميزاً للعلم ، وكعبة ومقصداً لطلابه ، فأنشأت فيها المدارس العلمية ، وبنيت فيها الأربطة السكنية ، وكثر فيها المتصدرون للتعليم الشرعي ، وقصدها الراغبون فيه من الجهات المحيطة بها كالعراق والخليج وفارس ونجد ، وساهمت مساهمة فعالة في تقدم الحركة العلمية في تلك الأقطار وهاتيك الأمصار .

ومن شهدوا بهذه المكانة العلمية العالية للأحساء من العلماء الوافدين عليها

الشيخ العلامة محمد بن أحمد العمري الموصلية رحمته (. . . - ١٢١٢هـ) (١) ، فإنه وفد على الأحساء في العقد الأخير من القرن الثاني عشر الهجري ، واستوطن فيها ، وذكرت بعض المصادر أن إقامته في الأحساء استمرت حتى وفاته ، فلما رأى في الأحساء ما لم يره في غيرها من البلاد التي طوَّف بها ، من توافر علماء أهل السنة والجماعة على اختلاف مذاهبهم الفقهية ، مع ما يتميزون به من التسامح المذهبي ، والتنوع العلمي ، والتعايش الحضاري ، نظم قصيدته الهمزية الرائعة في مدح الأحساء وعلمائها .

وقد بلغت أبيات هذه القصيدة مائة وثمانية وستين (١٦٨) بيتاً ، وقد ذكر الناظم في قصيدته - على الترتيب - ثلاثة عشر من علماء الشافعية ، وثلاثة من علماء الحنفية ، وأربعة من علماء المالكية ، وعالماً واحداً من علماء الحنابلة ، وسبعة من علماء التزكية ، فبلغ مجموع العلماء الذين ذكرهم ثمانية وعشرين عالماً ، أغلبهم تولى القضاء أو الإفتاء مع المشاركة في التدريس والتصنيف ، وهم لا يمثلون إلا عدداً قليلاً من علماء الأحساء في تلك الفترة الذهبية ، ومما قال في قصيدته التي مطلعها :

قَصُرَتْ لَعَمْرُكَ هِمَّةُ الْجَوَازِ عَنْ تَيْلٍ شَأْوِ مَرَاتِبِ الْعِلْيَاءِ
وَحَدَا بِذِكْرِ اسْمِي وَرَفْعَةِ رُتْبَتِي حَادِي الرِّكَابِ بِسَائِرِ الْأَرْجَاءِ
وَشَدَّتْ حَمَائِمُ مَجْدِي السَّامِي الَّذِي مَا حَامَ حَوْلَ حِمَاهُ ذُو جَدَّوَاءِ
إلى أن قال رحمته :

مَا قَلْتُ ذَلِكَ مَقْصِدِي فَخَرٌّ وَلَا تَعْظِيمُ غَيْرِي لِي مِنَ الْفُضْلَاءِ
بَلْ مَقْصِدِي التَّحْدِيثُ بِالنَّعْمِ الَّتِي وَهَبَ الْمُهَيْمَنُ لِي بِلَا إِحْصَاءِ

(١) انظر ترجمته في : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، تأليف : إسماعيل باشا البغدادي (٣٤٤/٦) ، ومعجم المؤلفين ، تأليف : عمر رضا كحالة (٢٩٨/٨) .

لَمْ لَا أَكُونُ بِمَا جَرَى قَمِينًا وَقَدْ
وَعْدُوتُ مِنْ عَيْنِ الْإِلَهِ بِمَنْظَرِ
إِذْ لَمْ أَزَلْ مُتَنَقِّلًا فِي أَرْضِهِ
جُبْتُ الْفِيَّافِي وَالْقَفَارَ جَمِيعَهَا
وَشَرَعْتُ فِي السَّفَرِ الْحَمِيدِ بِلَدَّتِي
وَبَقِيتُ مُنْتَقِلًا إِلَى أَنْ جِئْتُ فِي
أَعْيُنِي بِهَا الْأَحْسَاءَ أَحْسَنَ كُلِّ مَا
فَأَقَمْتُ فِيهَا مَدَّةً أَجْنِي جَنَى
وَوَجَدْتُ أَهْلِيهَا مَشَايِخَ سَادَةِ
وَرَأَيْتُهُمْ أَهْلَ اعْتِقَادٍ صَادِقٍ

حَقَّقْتِي الْأَلْطَافُ مِنْ مَوْلَانِي
وَبَدْتُ عَلَيَّ عِلَامَةَ السُّعْدَاءِ
حَتَّى عَرَفْتُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ
بِرًّا وَبَحْرًا كَيْ أَنْالَ مُنَائِي
دَارِ الْأَفْضَالِ مُوَصِّلِ الْحَدَبَاءِ
بِلَدِ الْكِرَامِ مَعَادِنِ الْإِسْدَاءِ
فِي الْأَرْضِ مِنْ بِلَدٍ بِغَيْرِ مِرَاءِ
ثَرَاتِ رَوْضَةٍ لَدَّتِي وَصَفَائِي
صَافِينَ مِنْ حَسَدٍ وَمِنْ بَغْضَاءِ
وَبِهَا اجْتَمَعَتْ بِغَالِبِ الْعُلَمَاءِ

ومن العلماء الذين قدموا الأحساء في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري ، واستوطنوا فيها لسنوات طويلة بلغت ثلاثين سنة ، وأشادوا بما تزخر به من العلم والأدب ، الشيخ عبد الله بن محمد البيتوشي الكردي الشافعي (١١٣٠ - ١٢١١ هـ) المولود في كردستان العراق ، والمتوفى في البصرة ، وهو أحد العلماء الكبار الذين جمعوا بين الشريعة والأدب ، فإنه لما قدم في سنة ١١٧١ هـ إلى الأحساء ، وطاب له المقام فيها ، ولقي من حفاوة أهلها وكرمهم ما أبهره ، ولقي من سعة علمهم وسماحة أخلاقهم ما أدهشه ، أرسل رسالة أدبية رائعة لشيخه في بغداد الشيخ عبيد الله أفندي بن صبغة الله أفندي الحيدري ، وكان مما جاء فيها : « وحال التاريخ أنا في الأحساء ، أتقلب في روض من العيش أريض ، وأتبختر في بُرْدٍ من العافية طويل عريض ، بين سادة سمحاء ، يكرمون ولا يمحرون ، ويطعمون ولا يطمعون ، ويهرون ولا يرهبون ، ويتكرون ولا يرتكبون ، لا تمل مناجاتهم ، ولا تحشى مداجاتهم ، إلى أخلاق في رقة النسيم ، ومحاور في عذوبة التسنيم ، لا تكبو في حلبة الفخار جيادهم ، ولا تصلد في مشاهد النوال زنادهم ، ثابت

لديهم كما أبتغي قدمي ، مجرى عندهم ما نفثت به فمي أو كتبه قلبي ،
لا عيبَ فيهم سوى أنَّ النزِيلَ بهم يسلو عن الأهل والأوطان والحشم» (١)
ولذلك فلا عجب إذا غدت المدرسة الأحسائية في تلك الفترة الذهبية
واحدة من سبع مدارس علمية رائدة على مستوى العالم الإسلامي ، فقد قال
الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله : « وكان يقال : لا يبلغ طالب العلم
كمالَه - والكمال لله - حتى يتخرج أو يحضر دروساً في سبع مدارس في سبعة
بلدان : مدرسة الدويحس في الزبير ، ومدرسة آل أبي بكر في الأحساء ، ومدرسة
الآلوسي في بغداد ، والأزهر في مصر ، ومدرسة المرادية في دمشق ، وكان طالب
العلم إذا استوفى يوم الحرمين الشريفين لحضور بعض حلقات شيوخ الحرمين في
مكة والمدينة ، ثم يعرج على عنيزة والقصيم ، وكان عصر العلم قد استنار في
القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين » (٢) .

ورغم اندثار تلك الدول والحضارات السابقة إلا أن شواهدا وآثارها ما
تزال شامخة وشاهدة ومذكرة بحضارات ودول سادت ثم بادت ، وصدق الله
العظيم إذ يقول : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] .

وإياك أن تظن - أيها القارئ - أن الحاضر أرخى سدوله على الماضي ،
فانفرط العقد وزال المجد ، واندرست المدارس وانفضت المجالس ، بل إن الحركة
العلمية الأحسائية - بحمد الله - ما زالت تعطي وتمنح وتكسب وتربح ، وما زال

(١) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القلم والجديد ، تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله العبد القادر ص
(٣٧٩) .

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، تأليف : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (٣٩٠/١) .

الطلبة يفدون ، وعلى عيون الشريعة ينزلون ، ومن موارد العلم يصدرون ، وصدق القاضي الشيخ عبد الله بن علي العبد القادر رحمته (١٢٧٠ - ١٣٤٤ هـ) عندما قال :

والخير ما زال خيراً في معادنه توارثه عن الأخيار أخيار

وجامع الجبري - الذي صنّف أخيه الفاضل الأستاذ الباحث أحمد بن عبد اللطيف الجعفري - حفظه الله - هذا السّفر النفيس من أجله - يمثل قامة شاحنة شاهدة على دولة آل إليها الحكم في الأحساء في العقد الثالث من القرن التاسع الهجري ، إنها دولة الجبريين المنتسبين إلى عقيل من بني عامر بن صعصعة ، وقد قامت الدولة على يد الأمير سيف بن زامل بن جبر ، ولما مات سيف خلفه أخوه أجود بن زامل ، وكان متصفاً بالعدل والكرم والشجاعة ، واتسعت دولتهم فوصلت إلى نجد غرباً وإلى عمان جنوباً ، ولكن الخلاف والضعف دب فيهم بعد ذلك ، واستولى البرتغاليون على بلادهم ، وانتهت دولتهم في سنة ٩٣١ هـ (١) .

وإلى دولة الجبريين يرجع الفضل في تأسيس الحركة العلمية المعاصرة في الأحساء ، فقد كان سلاطينها أهل ديانة وعلم ، فقد كان للأمير أجود بن زامل

(١) كان دخول البرتغاليين منطقة الخليج العربي سنة ٩١٢ هـ ، وهي نفس السنة التي توفي فيها الأمير أجود بن زامل الجبري أبرز سلاطين الدولة الجبرية ، وكان البرتغاليون يهدفون إلى إنشاء إمبراطورية برتغالية مسيحية كبيرة في الشرق ، فكان لا بد لهم من السيطرة على الطرق البحرية الرئيسية للتجارة العالمية ، فسيطروا على البحار الجنوبية للجزيرة العربية وبحار الساحل الغربي للهند ، ثم اتجهوا للسيطرة على الطرق البحرية الفرعية ؛ لكي تصبح جميع منافذ التجارة في أيديهم ، فاتجهت أنظارهم إلى الخليج العربي الذي يمثل شريان التجارة إلى بحر الفرات وسواحل الشام . انظر : تاريخ حجر ، تأليف : الشيخ الأديب عبد الرحمن بن عثمان الملا (١٩٠/٢ - ١٩٢) و (٢٠٢/٢ - ٢١٢) ، وتاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف ، تأليف : علي بن إبراهيم الدرورة ص (١٠٥ - ١٠٨) و ص (١٨٢ - ١٨٤) .

ثاني سلاطين الدولة الجبرية (٨٢١ - ٩١٠ هـ) (١) إمام بالفقه المالكي ، واعتناء بتحصيل كتبه ، وجعل قضاياه من المالكية .

ومن أمرائهم الأمير صالح بن سيف بن حسين (. . . - ٩٣١ هـ) ، وكان له اعتناء بتحصيل العلوم الشرعية ، فقد قدم هذا الأمير مدينة دمشق سنة ٩٢٧ هـ ، وأخذ عن علمائها ، وأجازهم منهم العلامة محمد رضي الدين الغزي وولده محمد بدر الدين ، وكلاهما شافعي المذهب ، وكان في قدمته مستتراً مختفياً غير منتسب إلى سلطنة ، وسمى نفسه إذ ذاك عبد الرحيم ، وكان مالكيًا متبحراً في الفقه والحديث ، وله مشاركة جيدة في الأصول والنحو ، وكان محباً للعلماء والصلحاء ، شجاعاً مقداماً ، عادلاً في ملكه ، صالحاً كاسمه ، وتوفي ببلاده (٢) .

وقد كانت دولة الجبريين بشكل عام محبة للعلم والعلماء ، وكانوا يحرصون على استقطاب علماء المسلمين من سائر المذاهب الأربعة الفقهية لنشر العلم الشرعي في الأحساء ، فمن العلماء الذين احتضنتهم دولة الجبريين في الأحساء معلمين أو مفتين أو قضاة :

١- الشيخ عبد الله بن فارس بن أحمد الجمال البرنوسي التازي المالكي (. . . - ٨٩٤ هـ) ، فقد توجه مع الأمير أجود بن زامل ، فاستقر في نواحيهم قاضياً ، وأقام عندهم نحواً من ١٥ سنة ، وفي سنة ٨٩٣ هـ قدم مع الأمير أجود للحج ، ثم تخلف عنه ، فأدر كتبه منيته بمكة بعد انفصال الحج بيسير (٣) .

(١) انظر ترجمة الأمير أجود بن زامل في : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، تأليف : الإمام الحافظ = شمس الدين السخاوي (١٩٠/١) ، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تأليف : السيد علي بن عبد الله السمهودي الحسني (٢٢٨/٢) .

(٢) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تأليف : الإمام محمد نجم الدين الغزي (٢١٥/١) .

(٣) الضوء اللامع للسخاوي (٤٠/٥ - ٤١) .

٢- الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الإيجي الحسيني الشافعي (٨٢٤ - ٨٩٥هـ) ، أقام عند بني جبر ، وقدم الحج معهم سنة ٨٩٣هـ (١) .

٣- الشيخ خليفة بن عبد الرحمن البجائي المالكي ، سافر مع بني جبر بطلبهم ؛ ليقوم بوظائف التدريس والقضاء ونشر العلم (٢) .

٤- الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن عمر البناء الشافعي ، دخل بلاد بني جبر فولي بها القضاء ، ثم عاد إلى المدينة قبل سنة ٨٩٨هـ (٣) .

٥- ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل ، البصري أصلاً ، المكي مولداً ، الأحسائي إقامة ، الشافعي مذهباً ، المولود سنة ٨٧٤هـ في مكة المكرمة ، وقد قدم الأحساء قبل سنة ٩٠٠هـ ، وأقام عند بني جبر ، وترقى عند سلاطينها ، حتى ولي القضاء بها (٤) .

وفي منتصف القرن التاسع الهجري ، أيام حكم الأمير أجود بن زامل الجبري ، وبطلب منه وتنسيق مع صديقه الحميم في المدينة المنورة العلامة الفقيه السيد علي بن عبد الله السمهودي الحسيني الشافعي (٨٤٤ - ٩١١هـ) ، قدمت الأحساء من المدينة المنورة أسرتان شافعتان ، وهما : أسرة الشيخ نصر الله بن عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الطيار الجعفري من ذرية جعفر بن أبي طالب

(١) الضوء اللامع للسخاوي (٣٣٣/١ - ٣٣٤) .

(٢) المصدر السابق (١٨٦/٣) .

(٣) التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة للسخاوي (٥٤٦/٢ - ٥٤٨) .

(٤) القيس الحايي لغرر ضوء السخاوي ، تأليف : الشيخ زين الدين عمر الشماع (٢٣٢/٢) ، نقلًا من مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الأحساء ، تأليف : الأستاذ عبد الله بن عيسى الذرمان ص (١٦ -

رحمته ، واستقرت في حي الكوت من مدينة الهفوف ، أما الأسرة الأخرى فهي أسرة الشيخ عبد القادر بن محمد العبد القادر من ذرية أبي أيوب الأنصاري رحمته ، واستقرت في مدينة المبرز ، وكان الغرض من استقدامهما للأحساء نشر العلم الشرعي عمومًا ، والمذهب الشافعي خصوصًا ، وهي لفئة مهمة في تاريخ التسامح المذهبي الذي شهدته وما زالت تشهده الأحساء إلى الآن بحمد الله .

ولما قدمت تلك الأسرتان الكريمتان من المدينة المنورة إلى الأحساء ، واستقر بهما المقام فيها ، بنى الأمير سيف بن حسين الجبوري جامع الجبوري سنة ٨٨٠هـ في حي الكوت في مدينة الهفوف ، وأوقف إمامته ونظارته على أسرة الجعفري الطيار ، وما زال في أيديهم إلى الآن .

وفي اعتقادي أن جامع الجبوري لا يمثل فقط جامعًا للصلاة والخطب ، ولكنه يمثل مدرسة علمية راقية ، شأنه شأن باقي المدارس الشرعية الأحسائية التي خرجت العلماء والقضاة والمفتين ، وورد عليها طلبة العلم من الأحساء وخارجها ، ثم صدروا عنها أئمة يقتدى بسيرتهم وعلماء يهتدى بهديهم .

وقبل أن أختتم أقول : إن الوجه العلمي للأحساء شمس ساطعة في يوم صائف ، لا يحول دونها سحب ، إلا أن وجهها السافر لم يحط عنه اللثام بعد ، وما زال العطاء العلمي في الأحساء بحاجة ماسة إلى دراسات جادة ، تسير أغواره ، وتنفض غباره ، وتستخرج كنوزه ، وتعلي رموزه ، وتكشف بهاءه ، وتوضح سناؤه ، وأي جهد في هذا السبيل إنما هو وفاء لمدينة ولدنا على أرضها ، وشربنا ماءها ، وتنفسنا هواءها ، وتادبنا بآداب علمائها .

ولذلك فإنه لما طلب مني ابن الأحساء البار الأستاذ أحمد الجعفري رغبته في التقلد بين يدي هذا الكتاب عدت هذا كرمًا منه وفضلاً أن يشرفني برد بعض الجميل للرمز (الأحساء) الذي يندرج ضمنه علماء ومدارس ومؤلفات ومنهج

وحركة علمية تشرفت - بحمد الله - بأن أكون حلقة في سلسلتها الذهبية .

وقد قرأت الكتاب كاملاً ، وأعجبتني وفرة المعلومات المذكورة فيه ، وحسن عرضها وتنسيقها ، واستفدت منه كثيراً ، وأعتقد أنه سيكون مرجعاً لكل من سيكتب عن تاريخ الحركة العلمية الأحسانية عموماً ، وتاريخ حي الكوت وجامع الجبري خصوصاً .

وأجد من المهم أن أنادي بصوت عال أبناء تلك الأسر العلمية وخريجي تلك المدارس الشرعية وأبناء الأحساء كافة أن يشمروا عن سواعد الجهد ، وأن يوجهوا اهتمامهم إلى التراث العلمي الأحساني ، فيحققون ويترجمون ، ويجمعون ويبحثون ، ويحللون ويستنتجون ، تبصيراً للأحفاد بما كان عليه الأجداد .

وأختم بأن أشد على ידי أخي الأستاذ الباحث أحمد الجعفري بأن يواصل عطائه ، ويتابع بناءه ، فإن طريق البحث والتحقيق طويل وشاق ، ولكنني أتذكر في هذا المقام قول المتنبي :

على قدرِ أهلِ العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عَيْنِ الصغيرِ صغارُها وتصغرُ في عَيْنِ العظيمِ العظامُ

وصلّى الله وسلم على رسوله الأمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

الشيخ / د . عبد الإله بن حسين العرفج

١٤٣٠/١٢/١ هـ



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فهذه دراسة مقتضبة حاولت أن أسلط الضوء فيها على جامع الجبري وتاريخ بنائه في الأحساء ، وما طرأ عليه من تطورات معمارية ، وما شهدته من نشاطات علمية عبر تاريخه الطويل.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يؤرخ لأقدم جامع بني في حي الكوت ، بل يعتبر أقدم جامع في الأحساء لا زالت تقام فيه الصلاة ، ولا زال على بنائه القلم .

ومن الواجب علينا أن نحافظ على تاريخ هذه المدينة ، والتدوين هو أحد وسائل تلك المحافظة ، بل هو أهمها على الإطلاق ؛ وذلك حتى لا يضيع كما ضاع تاريخ كثير من المرافق التراثية للأسف الشديد .

وقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع نظراً لأهميته ، بالإضافة إلى كون جامع الجبري موقوفاً على أسرتنا : السادة الأشراف (الجعفري الطيار) مما جعلني أشعر بالمسؤولية تجاه تاريخ هذا الجامع المبارك . وقد اتبعت المنهج الوصفي والتاريخي في بحثي هذا .

ورغم وجود الكثير من الدراسات التي تناولت تاريخ الأحساء بشكل عام مثل كتاب (تاريخ هجر) وغيره إلا أن هذه الدراسة تعد أول دراسة أفردت لتاريخ هذا الجامع العظيم ، فقد احتوت على الكثير من التفاصيل التي لم يرد ذكرها في أي مصدر آخر .

خطة البحث :

المقدمة .

التمهيد : مكانة المسجد في الإسلام ونبذة من تاريخ عمارته .

المبحث الأول : نبذة عن الأحساء .

المبحث الثاني: حي الكوت .

المبحث الثالث: نسب السيد الشريف الشيخ نصر الله بن عبد الله الجعفري الطيار ، وسبب قدومه ، والتاريخ الذي قدم فيه .

المبحث الرابع : تاريخ بناء جامع الجبري وإعادة ترميمه .

المبحث الخامس : وصف جامع الجبري .

المبحث السادس : أهمية الجامع الجبري ونشاطاته العلمية .

المبحث السابع : أئمة جامع الجبري .

المبحث الثامن : نظار جامع الجبري .

المبحث التاسع : أوقاف جامع الجبري .

الخاتمة .

الملاحق :

١- الوثائق .

٢- الخرائط .

٣- صور أخرى للجامع الجبري .

٤- صور لبعض المباني القديمة في الكوت .

وفي الختام لا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر والثناء والعرفان لكل من مد لي

يد العون والمساعدة في هذا البحث وعلى رأسهم :

- ١- السيد الشريف العم حمد بن عبد الله بن محمد الجعفري الطيار .
 - ٢- السيد الشريف الدكتور الشيخ عصام بن عبد العزيز بن محمد الخطيب الجعفري الطيار رئيس قسم اللغة العربية بكلية المعلمين بالأحساء إمام وخطيب جامع الجبري العريق حاليًا .
 - ٣- الشيخ محمد بن عبد الله الشيعبي مدير عام الشؤون الإدارية والمالية ببلدية الأحساء .
 - ٤- الأخ العزيز الباحث عبد الرحيم بن محمد سعيد برمّو السوري .
 - ٥- الأخ العزيز الغالي إبراهيم بن أحمد وهبة المصري (خطاط الجعفري) .
- وكل من استعنت به في معلومات هذا الكتاب ممن ذكرتهم في مراجعة هذا البحث فالحمد لله يتولى عني مكافأهم ويجزيهم عني خير الجزاء .
- راجيًا أن يحظى هذا العمل المتواضع برضى القارئ ، معترًا عما فاتني معرفته أو أخطأت فيه ؛ لأن فوق كل ذي علم عليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

السيد الشريف : أحمد بن عبد اللطيف الجعفري الطيار الزيني

الأحساء - الهفوف - المزروع

١٤ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ

ص.ب (٦٩٥) الرمز البريدي (٣١٩٨٢)

جوال (٠٥٠٣٩١٤١٤٠)



التمهيد

دلت الكثير من النصوص الشرعية على عظم منزلة المسجد في الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور : ٣٦] .

وقال الرسول ﷺ : « من بنى مسجداً بنى الله له مثله في الجنة » (١) .

فبناء المساجد وتعميرها أحد الأساسيات التي حث عليها الإسلام ، لذا كان أول شيء فعله الرسول ﷺ عند قدومه إلى المدينة المنورة هو بناء مسجد قباء ، وبعدما استقر به المقام في المدينة المنورة شرع في بناء مسجده الشريف (٢) في المكان التي بركت فيه ناقته (القصواء) حيث أمرها الله تعالى فقال النبي ﷺ :

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد (٥٣) باب فضل بناء المساجد (١) رقم الحديث (٥٣٣) .

(٢) فائدة : لم يكن لمسجد رسول الله ﷺ مفذنة ولا قبة ولا محراب ، ولكن مع مرور الزمن رأى المسلمون ضرورة وجود هذه الأمور في كل مسجد لدواعٍ عديدة ، فالمفذنة مثلاً الحكمة منها بلوغ صوت المؤذن أكبر ارتفاع ممكن حتى يتسنى له أكبر قدر من الانتشار ، والقبة الحكمة منها توزيع صوت الخطيب داخل حرم المسجد ، لا سيما وأنه في الزمن السابق لم تكن توجد مكبرات صوت ، فكانت القبة تقوم بدور مشابه وهو توزيع الصوت في كل أنحاء المسجد ، أما المحراب فالحكمة منه عدم حجز الإمام لصف كامل وحده في الصلاة ، ولذلك حفروا له في جدار القبلة مكاناً جوفاً يتسع لمصل واحد ، واستغل بقية المصلين للصف الذي كان يحجزه الإمام وحده ، وفي هذا توسعة على المصلين في المسجد . (إفادة من الباحث : عبد الرحيم محمد سعيد برمبو) .

« هذا المنزل إن شاء الله » وكانت مساحته عند إنشائه (٦٠ × ٧٠ ذراعاً) وجدرانه من اللبن ، وسُقِّف جزء منه بسعف النخل وترك الجزء الآخر مكشوفاً ، وجعلت أعمدته من جذوع النخل ، وكان خالياً من المحراب الجوف والمذنة (١) ثم تطورت عمارته شيئاً فشيئاً على حسب العصور ، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه زاد في مساحته زيادة كبيرة ، وبني جدرانه بالحجارة المنقوشة والجص والجير ، وكان أول من أنشأ فيه المحراب الجوف الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي ، وهو كذلك أول من أنشأ المحراب الجوف في العالم الإسلامي (٢) ، وسار على هذا المنهج في بناء المساجد (كما كان بناء مسجد النبي ﷺ في عهده) صحابة أهل الأحساء من قبيلة عبد القيس عندما اعتنقوا الإسلام طواعية في عهد الرسول ﷺ ، حيث يعد مسجدهم بقرية جواثا (٣) بالأحساء ثالث مسجد بني على وجه الأرض بالإسلام ، ومنبره ثاني منبر أقيمت فوقه خطبة الجمعة من بعد مسجد الرسول ﷺ (٤) .

(١) الخطب (١٠٧/٣ ، ١٠٨) ، وفاء الوفاء (٣٣٩/١ - ٣٤١) .

(٢) وفاء الوفاء (٣٧/١) ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٦/١) .

(٣) هي قرية في شمال الأحساء ، شرق شمال قرية الكلاية تبعد عنها (٤,٢٠٠ كم) ، غطتها الرمال ولم يبق منها إلا بعض رسوم المسجد المذكور في حديث ابن عباس رضي الله عنه وبعض آثار من الأواني الفخارية ، وتبعد عن مدينة الهفوف من جهة الشمال (٢٠ كم) . (إفادة عن الشيخ ظافر بن سلمان الجربوع من أهل الكلاية) .

(٤) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القدم الجديد ، مجلة العربي - العدد (٩١) ص (٧٣) .



مسجد جواثا قبل الترميم



صورة لمسجد جواثا بعد الترميم القديم

قال ابن عباس رضي الله عنه : « إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس في جوثا في البحرين » (١) .

وقد نهج الصحابة رضي الله عنهم في عهد عمر بن الخطاب العدوي القرشي هذا المنهج فاتبع أبو موسى الأشعري هذا المنهج في بناء مسجد البصرة سنة ١٤ هـ ، واتبعه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في بناء مسجد الكوفة سنة ١٧ هـ ، كما اتبع عمرو بن العاص السهمي القرشي هذا المنهج في بناء مسجد مدينة القسطنطين سنة ٢١ هـ ، وقد عرف هذا المسجد باسمه فيما بعد ، ويعد أول مسجد بني في مصر (٢) وكانت مساحته وقت إنشائه (٣٠ × ٥٠ ذراعاً) وجدرانه من اللبن ، وأعمدته من جذوع النخل ، وتسوده البساطة ، وكانت مساجد البصرة والكوفة ومصر خالية من المحاريب المخوفة والمآذن على غرار مسجد الرسول ﷺ فلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وزاد عدد المسلمين تعددت المساجد في البلد الواحد ، كما تعددت الألفاظ التي تطلق على أماكن العبادة فأصبح هناك مسجد وجامع ، والجامع هو نعت للمسجد بأنه مكان اجتماع الناس ويطلق على المسجد الكبير (٣) .

وفي ذلك يقول المقرئ (٤) : « ولما فتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مسجداً ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة . وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة (١١) ، باب الجمعة في القرى والمدن (١١) ، رقم الحديث (٨٩٢) .

(٢) وقيل : إن أول مسجد في مصر هو مسجد سادات قرش في مدينة بلبيس في محافظة الشرقية .

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٠٧/٣) ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٦/١) .

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٠٧/٣) .

مصر. يمثل ذلك أيضًا ، وكتب إلى أمراء الشام أن لا يتبددوا إلى القرى وأن ينزلوا المدائن ، وأن يتخذوا بكل مدينة مسجدًا واحدًا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده .

وكلما تقدم الزمن ازدادت هذه المساجد اتساعًا وتطورًا في البناء واستمرت كذلك الدول الإسلامية في كل بلد إسلامي وازداد حرصهم واهتمامهم ببناء المساجد فلما جاءت الدولة الأموية في عهد معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ولي عقبة بن نافع الفهري القرشي مدينة تونس ، فأسس فيها مدينة القيروان ، وبني فيها جامعًا سنة (٥٠ هـ) عرف هذا المسجد فيما بعد باسمه (١) .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك بنى جامع دمشق المشهور سنة (٨٧ هـ) وقد عرف هذا المسجد فيما بعد باسم المسجد الأموي ، وقد انتهى من بنائه بعد عشر سنوات فاكتمل في عهد سليمان بن عبد الملك ، وقد تميز بكبر مساحته وجماله ، واحتوى على ثلاث منارات ، وكانت به قبب وأعمدة من رخام وزخارف نباتية (٢) .

ولما جاءت دولة العباسيين أسس أبو جعفر المنصور الهاشمي القرشي مدينة بغداد سنة (١٤٥ هـ) وبني فيها جامعًا (٣) ثم تطورت أساليب العمارة في بناء المساجد واتخذت جميعها مقومات العمارة الإسلامية ، فقد كانت معظم المساجد حتى القرن الرابع الهجري تحتوي على صحن مكشوف تحيط به الأيوانات من ثلاث جهات أو من جهتين على أن يكون أكبر الأيوانات هو إيوان القبلة ، كما احتوى كل مسجد على محراب أو أكثر ومنبر ومئذنة أو أكثر ، وفي كثير من

(١) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (٦٩/١ ، ٧٠) .

(٢) البداية والنهاية (١٧٦/٩) ، معجم البلدان (٤٦٧/٢) .

(٣) معجم البلدان (٤٥٧/١) .

الأحيان على ميضأة^(١) . وفي وقتنا بدأت تأخذ المساجد طوابع جديدة ، فيها بعض الاختلاف عن السابق بحسب كل بلد .



(١) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٨/١) .